كتاب
ذم البغي

جَمِيع الحُقوق محْفوظَة

الطبْعَة الأولى
١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م

دَارُ الرَّايَة
للنَشْر وَالتوزيع
الرّيَاض ـ الرّبوَة ـ طَريق عُمر بن عَبد العَزيز
هَاتف : ٤٩١١٩٨٥ ـ مصور (فاكس) ٤٠٦٦٩٤٩
ص.بَ : ٤٠١٢٤ ـ الرَمز : ١١٤٩٩ ـ مبَرقة (تلكس) AICO - SJ - 400981

كتاب ذم البغي

تأليف

الإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد
ابن أبي الدنيا
المتوفى سنة ٢٨١ هـ

قدم له وحققه وعلق عليه

الدكتور نجم عبد الرحمن خلف
الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

دار الراية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونصلي ونسلم على نبينا وقدوتنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الصالحين المصلحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ حرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين الناس محرماً. وأمرهم أن لا يتظالموا.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ كتب الرحمة على نفسه، ونبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو نبي الرحمة، وهو الرحمة المهداة للناس كافة. وثبت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «أمتي هذه أُمَّةٌ مرحومةٌ».

١ ـ وقد أُمر المسلم أن يتخلق بأخلاق الله، وأن يقتدي برسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ.

وحين تحدَّثَ القرآنُ الكريم عن أصحاب المَيْمَنَة ممن تجاوز

العقبة نعتهم بقوله: ﴿وتواصوا بالصَّبْرِ وتواصوا بالمَرْحَمَةِ﴾[1]. نعم بهذا الوصف الكريم النبيل فإنهم لا يرحم بعضهم بعضاً فحسب بل يوصي كل منهم أخاه أن يحرص على التكافل والتراحم والتواد. فيؤكد عليه، ويذكّره.

وعندما وصف اللَّهُ الطليعةَ المرتقبة المرجوة من المؤمنين المصلحين، وذكر أبرز سماتهم، وأرفع صفاتهم، نعتهم بقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا مَنْ يَرْتَدَّ منكم عن دينهِ فسوفَ يأتي اللَّهُ بقومٍ يحبُّهُمْ ويُحبونَهُ أَذِلَّةٍ على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين يجاهدونَ في سبيلِ اللَّهِ ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ ذلكَ فضلُ اللَّهِ يؤتيه مَنْ يشاءُ واللَّهُ واسعٌ عليمٌ﴾[2].

إنهم ﴿أذِلَّة على المؤمنين أعِزّة على الكافرين﴾ وليس العكس.

وتواترت النصوص عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في التأكيد على التراحم. والحضِّ عليه، والتخلق به، والتواصي على التزامه. فقد صحَّ عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال:

«لا تُنزع الرحمةُ إلا من شقي».

وقال: «إنما يرحمُ اللَّهُ من عباده الرحماء».

وقال: «لا يرحم اللَّهُ من لا يرحم النّاس».

---

(١) سورة البلد: ١٧.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

وقال: «ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء».

وقال: «الراحمونَ يرحمهم الرحمنُ».

وقال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يغفر لكم».

إلى غير ذلك من النصوص النبوية الكريمة التي تحضّ على التراحم والحب والإحسان، وتنهى عن التباغض والتظالم والبغي والعدوان.

وقد غفر اللَّهُ لامرأة مومس من بني إسرائيل لأنها رحمت كلباً يشكو من الظمأ، فسقته، فشكر اللَّهُ لها صنيعها وغفر لها. وهي مومس، من بني إسرائيل. فما بالك بمن يرحم إنساناً؟!.

وأدخلَ اللَّه النارَ امرأةً من أجل هِرَّة حبستها، ولم ترحمها، حتى ماتت. فما بالك بمن يظلم إنساناً؟!.

٢ ــ وهذا الكتاب «ذم البغي» للحافظ الصدوق ابن أبي الدنيا البغدادي (ت ٢٨١هـ) يتجلى فحواه من عنوانه. فإنه عمل تربوي هادف أراد مصنفه من وراءه أن ينبه الجيل المسلم إلى عاقبة الظلم، ومآل البغي وأن لا يبدلوا نعمة الله كفراً. فيتحولوا من الجو التراحم إلى جو التباغض، ومن حياة الحب والتآخي إلى حياة البغي والتجافي.

٣ ــ والبغي: هو الظلم، والتجاوز عن الحدِّ. يقال: بغى على غيره، أي استطال وظلم.

وقد تحدث القرآن الكريم عن صفة البغي فأعلن أنَّ هذه الخلّة المذمومة من طبائع الكثير من بني البشر. فشذَّ أنْ تجد المنصف العدل

فيهم. وأعلن كذلك بوضوح أنَّ هذه الصفة الذميمة لم يفلح من التملص منها، والتسامي عليها إلاَّ الذين آمنوا. وليس الذين آمنوا فحسب. وإنما الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وليس كل هؤلاء كذلك بل ندرة منهم، وثلة قليلة فيهم.

قال الله تعالى: ﴿وإن كثيراً مِنَ الخُلَطَاءِ ليبغي بَعْضُهمْ على بعض إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾[1].

ولما كان البغي اعتداء وظلم وتجاوز فإن الله جعل مرتعه وخيم، وقضى أن تكون عقوبته نافذة فاعلة عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، فعن أبي بكرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ أنه قال: «ما من ذنبٍ أحرى أنْ يُعَجلَ اللَّهُ ــ عزّوجلّ ــ لصاحبه فيه العقوبة في الدنيا ــ مع ما يدخر في الآخرة ــ من قطيعة الرحم والبغي»[2].

٤ ــ ومن دقائق اللفتات التربوية في موضوع «البغي» ما أدرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في هذا الكتاب، فإنه اعتبر التعالي والتطاول، والعجب، والتعيير من الخلال المذمومة التي تدخل في إطار الظلم والبغي.

وهذه الدقيقة الإصلاحية استفادها المصنف من كبار المربين والمصلحين من السلف الصالح. فقد فسر الإمام سعيد بن جبير قول الله

---

(١) سورة صٓ: ٢٤.

(٢) أخرجه المصنف في هذا الكتاب بسند صحيح وغيره من الحفاظ، انظر رقم (١).

سبحانه: ﴿لا يريدونَ عُلُواً في الأرضِ ولا فساداً﴾ بقوله: أي لا يريدون بغياً. ففسر العلوَّ هنا بالبغي[1].

بيد أنه تبقى لابن أبـي الدنيا سابقته في التنبه لهذه الـدقيقة بحسـه التربوي، وبحكم صناعته باعتباره كان مؤدباً ومربياً ومثقِّفاً. فقد أخرج في هـذا الكتاب عن إبـراهيم بن يزيـد النخعي أنـه قـال: «إني لأجـدُ نفسي تحدثني بالشيء، فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن أبتلى به»[2].

وأخـرج عن أبـي ميسرة عمـرو بن شـرحبيـل الهمـداني أنـه قـال: «لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فسخرت منه خشيت أن أكون مثله»[3].

ولمـا ركب ابن سيـرين الـدَّينُ. وحبس بـه، قـال: «إني لأعـرف الـذَّنب الذي أصـابني هذا. عيـرتُ رجلاً منـذُ أربعين سنـة، فقلت لـه: يا مفلس»[4].

وهذه تنبيهات تربوية هامة من هؤلاء الأئمة الكبار. وتيقظ دقيق من المصنف في إدراج أمثال هذه النصـوص في كتابـه هذا. فـإنَّ هذا النـوع من البغي، نوع خفي. ولا شك أنه مَنْ أشاع السـوء على أخيه المسلم، وتتبـع عيوبـه، وكشف عورتـه فإنـه سيعاقب عـاجلاً وآجـلاً على شماتتـه واستطالته وفضحه.

---

(١) انظر النص رقم (٦) و (٣٨).
(٢) انظر تخريجه في رقم (٣١) وقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٢٣١ بنحوه.
(٣) انظر تخريجه في رقم (٣٢) من هذا الكتاب.
(٤) انظر ابن رجب ــ الفرق بين النصيحة والتعيير: ٤٢.

٥ ــ وقد تحصَّلَ لنا أنَّ البغي نوعان كُلِّيان: الفخر والظلم. وتندرجُ تحت كلِّ نوع من هذين النوعين شُعبٌ كثيرة.

وهذان النوعان كلاهما استطالة وتجاوز واعتداء لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر. وإن استطال بغير حق فقد اعتدى وظلم. والأمران محرمان منهيٌّ عنهما في شرع الله عزّوجلّ.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في هذا المعنى: «نهى اللَّهُ ــ سبحانه ــ على لسان رسوله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ عن نوعي الاستطالة على الخلق؛ وهي: الفخر والبغي. لأنَّ المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى. فلا يحلُّ هذا وهذا»(١).

وفي الحديث الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي، أنَّ النبيَّ ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ قال: «إنَّهُ أُوحي إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ. ولا يبغي أحدٌ»(٢).

٦ ــ ويأتي بعثُ كتاب الحافظ ابن أبي الدنيا «ذمُّ البغي» في عصر تفشى فيه الظلم، وضرب أطنابه في كلِّ مكان. ظلم تمارسه دول على دول أخرى. وجماعات على جماعات وأفراد على أفراد إلى غير من الصور الظالمة البشعة من ألوان الظلم والبغي والعدوان.

ويوم أن وضع ابن أبي الدنيا كتابه هذا إنما هدف من ورائه معالجة الواقع الإسلامي وقتذاك (القرن الثالث الهجري). فقد كان

---

(١) ابن تيمية ــ اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٠١.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»: ٤/٢١٩٩، رقم ٢٨٦٥.

المجتمع الإسلامي المنفتح الرحيب يعجّ بالتيارات والاتجاهات. ويزخر بالأفكار والآراء والاجتهادات. وكانت هذه التيارات تشمل جميع مناحي المعرفة في البنية الإنسانية، وتغطي كلَّ النشاطات الحيوية في المجتمع الإسلامي الصاعد المتفتح. فهناك التيارات السياسية، والعقدية، والفقهية، والأصولية واللغوية وغير ذلك من حقول المعرفة. وكان في كلِّ حقل من هذه الحقول مذاهب وتوجهات ولكل مذهب أئمة وأتباع. وكان الصراع الفكري، والثقافي على أشدَّه. ويوم أن بدأ المسلمون الأوائل يجتهدون، ويحلِّلون، ويستنبطون، ويقيسون، وينقدون، ويمحصون كان الأمر لا يعدو النصيحة للإسلام والمسلمين، ولا يقصد به إلاَّ إحقاق الحقِّ من غير حمية ولا عصبية. ومن غير بغي ولا تجاوز. ومن غير تعنت ولا تزمت. إلاَّ أنَّ العِقد قد انفرط فيما بعد، واتَّسع الخرقُ على الراقع.

وكان في خضم هذه الأمواج المتلاطمة من الآراء والمذاهب حق حقيق بأن يُتّبع، ويقتفى أثره. وكان هناك كذلك الكثير من الزَّبد الذي أثبت التاريخ زيغه وخطؤه، وكشف عيوبه ومثالبه.

لقد رأى الإمام ابن أبي الدنيا هذه الحالة المشحونة المُتْرَعة، وهاله ما آل إليه الخلاف السياسي والعقدي والفقهي واللغوي وغيره. وإن شباب الجيل المسلم قد نَسوا فريضةَ الأخوة، وتجاوزوا حرمتها، في هذا الجو العاصف المشحون فنشأ النزاع الواسع العريض، ودبَّ الخلاف، وبرزت قرون الشيطان، فبغى الناس على بعضهم في كلِّ سبيل، فكان التشهير، والتعيير، والتنفير، والتكفير وحلَّت الحالقة التي تحلق الدِّين وهي البغضاء محلَّ الأخوة والصفاء. وهي صورة مناقضة للصورة التي

تحدث عنها القرآن في صفة المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿محمدٌ رسولُ اللَّهِ والذينَ معهُ أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم﴾[1].

عند ذلك أدرك المربون والمصلحون والدعاة أمثال ابن أبي الدنيا من النبلاء والعلماء أنه لا بد من إيقاظ شباب الجيل من سباتهم، فكانت هذه الآثار، والوثائق التربوية العالية التي صنفها هؤلاء الكرام ودوَّنوا فيها صفوة ما علموه من كنوز النبوة، وذخائر الأصحاب البررة، وثمار التابعين لهم بإحسان من السالفين الأخيار. فجاءت هذه المصنفات زاداً وعلاجاً لكثير من الانحرافات والتجاوزات التي يشكو منها عالمنا الإسلامي بالأمس واليوم.

٧ ــ وهذه الوثيقة التربوية «ذم البغي» هي بالفعل وثيقة. فإنَّ هذا الكتاب وضعه مصنفه في القرن الثالث الهجري. وأتى به من فاتحته إلى خاتمته مسنداً موصولاً. فهو كتاب تراثي مسند. وضع في عصر التصنيف للسنة النبوية. وهو من أزهى العصور الإسلامية قاطبة بالنسبة لتنظيم السنة وتصنيفها.

وإن مؤلفه الحافظ الصدوق ابن أبي الدنيا من أقران رجال الكتب الستة (البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة) وقد شاركهم في الرواية عن أغلب شيوخهم. وبهذا يكون هذا الكتاب وثيقة علمية تراثية مسندة.

وهو كذلك أثر تربوي هام باعتبار أنَّ مصنفه من كبار المربين. فقد

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

أوقف حياته على صنعة التأديب والتثقيف والتربية. فهو مؤدب أولاد الخلفاء، وعلى يديه تخرج العديد من النبغاء والنبلاء من طلبة العلم. وكيف لا يكون كذلك وقد تأثر تأثراً مباشراً بشيخه الإمام الرباني أحمد بن حنبل، والإمام العالم المؤدب أبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من المربين.

٨ ــ وقد صنفه في عصر من أكثر العصور نشاطاً وحيوية في جمع الأحاديث واستقصائها وتنقيتها، فعملت فيه الخبرة الحديثية، والخبرة التربوية عملها فآتت أكلها ضعفين.

وتضمّن الكتاب بلسان الحال صورةً عن الواقع الذي كان يعيشه المجتمع الإسلامي وقتذاك، مع محاولةٍ لعلاجه، ذلك أن ابن أبي الدنيا لم تأته فكرة الكتاب من فراغ، وإنما جاءت ضرورة ملحة تقتضيها أجواء المجتمع الإسلامي، فقد كانت التيارات على أشدها، سياسية وفكرية، كالإثنى عشرية، والإسماعيلية، والقرامطة، والخوارج، والزنج، والمعتزلة، ومدارس فقهية وحديثية وغير ذلك.

كما أنَّ الناشئة المسلمة لم تدرك أيام الجهاد والكفاح، ولم تأخذ حظّها من التربية والصّقل والإعداد، فولدت في مجتمع مستقر نسبياً، فكان من الطبيعي أن تصرف جلّ طاقتها إلى المناقشات والمحاورات والجدل، وقد تنتهي بهم إلى التنازع والتخاصم والعداء، فتكون الغيبة والنميمة، والجدل، والفحش في القول؛ من سب ولعن وتكفير، وتقعر في الكلام، وغير ذلك من الحالِقات، التي تحلق الدِّين وتمزق صفوف المسلمين، وتذهب صفاء المؤمنين.

فالخلاف أوله تشهير وافتتان، ثم يتحول إلى تكفير واقتتال، وهذا شأن الفتن دائماً، فإنها تتطور وتعسر السيطرة عليها، وكم في التاريخ من مواعظ.

فأراد ابن أبي الدنيا أنْ يُقَعِّدَ لأُسسِ السلوك الإسلامي في عصر الفتن، واستطاع بنظريته التربوية أن يوجههم لتأسيس مجتمع السلامة والعلم من بعد ما كادت الخلافات تستهلك ما عند الناس من خير، فسطَّرَ لهم خلاصة الأجيال السابقة، وما حَذَّرَ منه أئمةُ الصدق والهدى من المربين والعلماء الربانيين.

وكان يعلم أن هؤلاء الأخيار لم يقولوا كلامهم اعتباطاً، بل كانت تأملاتهم قائمة على ملاحظة وتفحص لمسيرة جيلهم، فيقدِّمون له خلاصة تجاربهم وأفكارهم.

فَبَيَّن لهم ابن أبي الدنيا أخلاق السلف وما كانوا عليه من الأُخوة والود والورع والزهد، فكان فعلهم يسبق قولهم، وكان صلاح ألسنتهم من صلاح قلوبهم. فأرادهم أن لا يتمسكوا بفرع على حساب أصل، ويدندنوا حول فروع قد تُفوت معها فرائض الأخوة.

وما أحوج الإسلاميين اليوم إلى هذه الدُّرَر الإيمانية والتوجيات التربوية فيسدوا على أنفسهم باب المِراء والجدل، الذي هو طريق البطالة والذي به يذهب الودُّ وتضيع الأُخوة. ويؤل أمرهم إلى البغي والظلم والاعتداء.

وهذه النصوص التي أخرجها ابن أبي الدنيا في هذا الكتاب

ما هي إلا ترجمة حية لأخلاق السلف الصالح وآدابهم، وأثراً مهماً من آثار انطباعهم بالتوجيهات النبوية، وتمثلهم بها في سلوكهم وحياتهم.

وبهذا يكون هذا الكتاب قد ضمّ بين دفتيه خلاصة تجربة الحافظ ابن أبي الدنيا الحديثية والتربوية. فهو كتاب سلفي حديثي في مادة تربوية إصلاحية. اشتملت على العديد من النصوص التاريخية الهامة التي قد لا نجدها حفظت لنا في كتاب سواه مما بقي لدينا اليوم من تراثنا الزاخر.

عَمّان، في ٢٨ محرّم ١٤٠٨هـ

نجم عبدالرحمن خلف

المدينة المنورة

ترجمة الإمام ابن أبـي الدنيا

اسمه ونسبه :

عبدالله بن محمد بن عبيـد بن سفيان بن قيس، أبـو بكر القـرشي، الأموي، مولاهم، البغدادي الحنبلي[1]، المشهور بابن أبـي الدنيا[2].

ولـد ببغـداد سنـة ٢٠٨هـ ـ ٨٢٣م، في عهـد الخليفـة المـأمـون

---

(١) في هدية العارفين للبغدادي: ٥/٤٤١، «الشافعي» وهو خطأ.

(٢) مصـادر ترجمتـه: ابن أبـي حاتم ـ الجـرح والتعديـل: ٥/١٦٣، ابن النـديم ـ الفهـرست: ١/١٨٥، الخـطيب ـ تـاريـخ بـغـداد: ١٠/٨٩ ـ ٩١، ابن أبـي يعـلى ـ طبقات الحنـابلة: ١/١٩٢ ـ ١٩٥، المسعودي ـ مـروج الذهب: ١/١٢ ـ ١٣، ٥/٥٠ و١٧٤، ابن الأثـير ـ الكـامـل: ٧/١٥٥: السمعـاني ـ الأنساب: ١٠/٩٦ ـ ٩٧، ابن الجوزي ـ المنتظم: ٥/١٤٨ ـ ١٤٩، المزي ـ تهـذيب الكمـال: ٧/٣٩٥ب، الـذهبي ـ سـير أعـلام النبـلاء: ١٣/٣٩٧ ـ ٤٠٤، وتـذهيب الكمـال: ٢/١٨٤ب، وتـذكـرة الحفـاظ: ٢/٦٧٧ ـ ٦٧٩، والعبر: ٢/٥٦، ومختصر دول الإسلام: ١/١٣٣، ابن كثير ـ البداية والنهايـة: ١١/٧١، ابن تغـري بردي ـ النجـوم الزاهـرة: ٣/٩٦، ابن شاكـر الكتبـي ـ فـوات الوفيـات: ١/٤٩٤ ـ ٤٩٥، ابن حجر ـ تهـذيب التهـذيب: ٦/١٢ ـ ١٣، وغيرهم. وانظر ترجمته المفصَّلة في مقـدمة «كتـاب الصمت وآداب اللسان» للمحقق.

(ت ٢١٨هـ) آخر العصر العباسي الأول، في عهد الحضارة الإسلامية الذهبي.

في هذه المدينة العامرة الزاخرة (بغداد) نشأ ابن أبي الدنيا حيث المحدث والفقيه والمؤدب والزاهد هم أبناء هذا المجتمع ومادته، وكان لظاهرة العلم والزهد أبلغ الأثر في بناء شخصية ابن أبي الدنيا وتكوينه العلمي.

بيئته التي نشأ فيها:

كانت أسرة ابن أبي الدنيا أسرة خير وفضل، وبيته بيت علم وصلاح.

فأبوه من العلماء المهتمين بالحديث وروايته، مما ساهم في نشأته العلمية، وتكوينه في وقت مبكر.

فحببته أسرته في العلم والعلماء، ودفعت به إلى حلق العلم، فأقرأته القرآن، والفقه، وحببته في سماع الحديث وكتابته. وبحكم أنَّ والده كان أحد العلماء فقد مَكَّنَهُ ذلك من السماع من أعلام العصر وحفاظه وَسِنُّه دون البلوغ، ومِنْ هؤلاء الحفاظ سعيد بن سليمان الواسطي ـ سعدويه ـ (ت ٢٢٩هـ)، وأبو عبيدالقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وخالد بن خداش البصري (ت ٢٢٣هـ)، فأدرك بهؤلاء وطبقتهم إسناداً عالياً، وشارك أصحاب الكتب الستة في كثير من شيوخهم. وقد دلت بعضُ الروايات على أَنَّهُ استقل وأخذ يطوف على

المشايخ بنفسه، وسنه دون العاشرة[1].

وبهذه العناية المركزة والمبكرة من أسرة ابن أبي الدنيا، وبما كان له من الهمّة والإقبال الكبير استطاع أنْ يجمع علماً غزيراً ويتتلمذ على مئات المشايخ من أئمة العصر وحفاظه. قال الذهبي: «وقد جمع شيخنا أبو الحجاج الحافظ أسماء شيوخه على المعجم، وهم خلق كثير»[2]، ثم ذكر الذهبي جزءاً منهم فبلغ عددهم أربعة وتسعين شيخاً. وبلغ عدد شيوخه في كتاب الصمت وحده أكثر من مائتي شيخ.

وبهذا تكونت شخصية ابن أبي الدنيا العلمية، فهو حنبلي المذهب، سلفي العقيدة، زهدي المَشْرَب، وعمل على بث هذه الروح الأخلاقية الإيمانية، ورصد نفسه لها، وأنشأ في تقعيدها وإذاعتها ما يزيد على مائة مصنف.

أثره في مجتمعه:

وكان لابن أبي الدنيا الأثر الكبير في مجتمعه، تَجَلَّى في تربيته لأولاد الخلفاء[3] الذين هم من أهم طبقات المجتمع، وممن سيتولى

---

(١) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد: ١٠/٩٠، ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٦/١٣، وانظر ابن الجوزي ـ المنتظم: ٥/١٤٨. وهي رواية إبراهيم الحربي في السماع من عفان بن مسلم الصفار والمعروف عن عفان أنه اختلط في ٢١٩هـ ـ أي قبل وفاته بعام أو أقل ـ وقد تركوا السماع منه بعد اختلاطه، وسيأتي الكلام عليها في منزلته العلمية.

(٢) الذهبي ـ سير النبلاء: ١٣/٣٩٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك في فصل «مكانته العلمية».

مقاليد أمور المسلمين وبصلاحهم تصلح البلاد، ويسعد العباد. كما تَجَلَّى في تدريسه وتعليمه لعدد هائل من طلبة العلم، وقد تخرج على يديه منهم جمع غفير، أصبحوا من أفراد الأمة عِلْماً وصلاحاً.

كما ساهم في الحركة الإصلاحية التي استهدفت تربية الجماهير العظيمة المقبلة على هذا الدين عن طريق التأليف والتصنيف مقتفياً أثر شيخه الإمام أحمد ومَنْ قبله مِنْ أمثال عبدالله بن المبارك وسفيان الثوري، فألَّف في التربية والزهد والرقائق مؤلفات جَمَّة، وصفها الحافظ ابن كثير[1] فقال: «المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الذائعة في الرقاق وغيرها، وهي تزيد على مائة مصنف، وقيل: إنها نحو الثلثمائة مصنف».

ويكفي للدلالة على حرصه في تسديد المسلمين، وتحذيرهم من مزالق الشيطان قيامه بوضع هذه التآليف الوافرة في ميدان الأخلاق والتربية والإصلاح، وعلى رأسها «كتابُ الصمت وآداب اللسان»[2] فإنه قد صنفه في فترة كانت مشحونة باللغط واللغو والانقسامات وما يترتب عليها من مشاحنات، وهو أمر يفرزه الترف الفكري، وتعين عليه البطالة وفي مثل هذا الجو يزخرف الشيطان للناس حب الكلام حتى تصبح شهوة مستحكمة، ويُزَيِّنُ لكل قائل مقالته. وهذا ينبهنا أيضاً ــ إلى أن الحافظ ابن أبي الدنيا كان مُرَبِّياً مع كونه عالماً، وداعية قصد بالتصنيف نصيحة

---

(١) البداية والنهاية: ١١/٧١.

(٢) انظر الفصل الذي عقدناه عن الكتاب وأهميته.